مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (26) العدد (2)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (26) No (2) 2004

بين مكسيم غوركي وحنا مينة في ضوء المنهج التاريخي المقارن
(من خلال ثلاثية السيرة الذاتية)

الدكتور نزار شرف *

(قبل للنشر في 2004/9/7)

□ الملخّص □

يستعرض هذا البحث العلاقة بين مكسيم غوركي وحنا مينة (من خلال ثلاثية السيرة الذاتية) بالمنهج التاريخي المقارن للمدرسة الروسية، المنهج الأكثر دقة وشمولاً بما يوليه من اهتمام للعوامل المختلفة التي تسهم في ظهور التشابهات والاختلافات بين الآداب القومية دون التحيز للأدب القومي أو الجور عليه، فهو لا يقصر دراسته على التأثير كما تفعل المدرسة الفرنسية، ولا يتنكر للتأثير كما تفعل المدرسة الأمريكية، بل يرى أن التأثير أشد ما يكون قوة عندما يقع على قاعدة من المتوافقات النمطية فالتأثر العميق والحقيقي لا يحدث إلا عندما يتطلب التطور الأدبي في البلد المتأثر دفعاً وحفزاً، نحو طريق جديدة، وتأثير الآداب الاشتراكية، ولا سيما أدب غوركي، في الأدب العربي كان تلبية للاحتياجات الأدبية في البلدان العربية في مرحلة من مراحل تطور الأدب العربي ونهوضه واكبت تطور الأدب العربي ونهوضه الثوري والاجتماعي. والتأثير الشخصي والفكري والفني لغوركي في حنا كان عميقاً وشاملاً، قواه وحدة مذهبهما الواقعي في الأدب، وتشابه طباع الكابتين ومصيريهما ووحدة مواقعهما العقائدية، ومواجهة كل منهما لمهمة واحدة هي تصوير التناقضات الاجتماعية المعقدة في مرحلة من مراحل التغيير الاجتماعي الكبير .

*مدرس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية– سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (26) العدد (2)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (26) No (2) 2004

A Study in the Light of the Comparative Historical Method Through Out of the Tripartite of the Personal Biography between Maxiem Ghorky and Hanna Mena.

Dr. Nizar Sharaf*

(Accepted 7/9/2004)

□ ABSTRACT □

This research discusses the relation ship between Maxiem Gorky and Hanna Mena (through out of the tripartite of the personal biography) with the comparative historical method of the Russian school ,this method is the most exact and the most comprehensive one for being interested in the different factors because it participates in the appearance of the similarities and differences among the national literatures without prejudice or oppression to the national literature. It is not restricted to the influence as the French school dose and it does not deny it as the American school but it finds that the influence becomes more powerful when it is built on a basis of pattern agreements so the deep and the real influence does not occur exapt when the affected country needs a drive and a motive towards a new way and the influence of the socialist literatures and especially the literature of Maxiem Ghorky in the Arabian literature was an acceptance to the literary needs in the Arabian countries in a stage of the development of the Arabian literature and its rise which accompany the development and the revolutionary and social rise of the Arbian literature. The personal intellectual and artistic influence of Ghorky in Hanna was deep and comprehensive and it was supported by the union of their realistic schools in literature the similarities of the authors tempers and their destiny ,the union of their ideological positions and the confrontation of each one of them to a single task which is a portrayal of the complex and social opposites in a stage of great social trans foration once 0

***Teacher, Arabic Department, Faculty Of Arts And Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة :

لعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب إذا قلنا إن الدراسة المقارنة بين الآداب القومية هي أكثر الوسائل فائدة في تحليل المؤلفات الأدبية؛ إذ لا يمكن فهم أدب ما فهماً وافياً إلا من خلال علاقته بالآداب الأخرى. و مهمة الدراسة المقارنة الحكيمة تكمن في الوصول إلى نظرة صحيحة و متوازنة للأدب القومي لا يتيحها التحليل المعزول له.

و على الرغم من تعدد مدارس الأدب المقارن و مناهجه إلا أن الدراسة المقارنة للأدب تقتضي أيضاح التشابهات و الاختلافات بين الظواهر الأدبية التي تجري المقارنة بينها، و على الباحث المقارن عندما يقوم بتفسير أوجه التشابه و الاختلاف بين أدبين قوميين أو أكثر، أن يولي اهتمامه لمختلف العوامل التي تسهم في ظهورها. فمن الجلي أن رد التشابهات الموجودة في أدبين إلى تأثر أحدهما بالآخر و حسب ، ينطوي على تعسف واضح إذا لم نأخذ بالحسبان الواقع الموضوعي الذي صوره هذا الأدب، بحكم أن الوجود الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي.

فمن المعلوم أن الأدب بوصفه شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي يتطور مع تطور الوجود الاجتماعي، يرتبط ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالتجسيد التاريخي للتباينات و الصراعات و المشكلات الاجتماعية التي تظهر في مرحلة محددة من التطور الاجتماعي، و دخول هذه المشكلات و الصراعات في العالم الروحي للأديب هو ما يدفعها إلى تجسيدها الفني، لذلك كان محتماً ظهور تشابهات نمطية بين الآداب الواقعة على درجات متماثلة من التطور الأدبي في المراحل المتماثلة من التطور الاجتماعي حتى لو لم تقم بينها صلات مباشرة. و هذه التشابهات النمطية – التاريخية هي التي تشكل المقدمات الضرورية لحدوث التفاعلات الخصبة بين الآداب، فالتأثير العميق و الحقيقي لا يحدث إلا عندما يتطلب التطور الأدبي في البلد المتأثر دفعاً و حفزاً نحو طريق جديدة.

و نحن، عندما نقارن بين ثلاثيتي غوركي و حنا مينة عن السيرة الذاتية، لا يغيب عن بالنا أن تأثير الآداب الاشتراكية، ولا سيما أدب غوركي ، في الأدب العربي كان تلبية للاحتياجات الأدبية في البلدان العربية في مرحلة من مراحل تطور الأدب العربي و نهوضه، واكبت تطور المجتمع العربي و نهوضه الثوري و الاجتماعي.

إن غوركي و حنا اللذين يواجهان مشكلات متماثلة في مرحلتين متماثلتين من مراحل التطور الاجتماعي – التاريخي، ينطلقان في أدبهما من موقف واحد : إن الحياة في ظل المجتمع الطبقي الذي يهدر إنسانية الإنسان، و يعرقل تقدمه، لم تعد ممكنة.

إن الكاتبين اللذين ذاقا مرارة العيش، و عرفا قسوة الواقع، و شهدا التناقضات الحياتية بين عالم الأغنياء، و عالم الفقراء، توصلا إلى العقيدة الاشتراكية كفكرة منقذة من الظلم و الاضطهاد و الاستغلال ، و التصقا بالواقع من خلال انتمائهما إلى الشعب المسحوق، و تعبيرهما عنه.

نحن نحاول في دراستنا هذه، رصد الدور الحاسم للقوانين النمطية في التأثير الذي أحدثه مكسيم غوركي في تطور المذهب الواقعي في الأدب العربي بعامة، و السوري بخاصة، و في حنا مينة في ضوء المدرسة الروسية و منهجها التاريخي المقارن.

لمحة تاريخية :

منذ برز الأدب المقارن إلى الوجود، كعلم مستقل في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، و صار له منهجه الخاص الذي يفرق بينه وبين علمي تاريخ الأدب و النقد الأدبي، أخذ هذا العلم يتطور بسرعة فكتبت عنه أبحاث كثيرة، و ظهرت فيه مدارس عدة أشهرها المدرسة الفرنسية، و المدرسة الأمير كية، و المدرسة الروسية.

و تقصر مدرسة المقارنين الفرنسية التي تحلّقت حول مجلة "الأدب المقارن" و ترأسها "فردينان بالدنسبرجه"، معنى الأدب المقارن على دراسة الصلات التاريخية بين أدبين أو أكثر و ما نتج عنهما من تأثر أو تأثير . و يؤكد بول فان تيغم أن : "لفظة "المقارنة" يجب أن تعرى من كل معنى جمالي، و أن تأخذ معنى تاريخياً فقط، و أن الوقوف على أوجه الشبه و الخلافات من خلال كتابين اثنين أو أكثر أو في المشاهد و المواضيع، في لغات مختلفة، ليس سوى نقطة انطلاق ضرورية من شانها أن تسمح باكتشاف بواعث التأثير و آثار الاقتباس" .(1)

و على النقيض تماماً من المدرسة الفرنسية تذهب مدرسة "المقارنين " الأميريكية التي ترأسها "رينيه و يليك"إلى إدانة كامل مشروع التأثيرات و الصلات التاريخية بين الآداب، بوصفه مشروعاً تفسده الوضعية التي ينتفي فيها التأمل ، و ترى أن الدراسات المقارنة للمدرسة الفرنسية : "تقصر نفسها على المشكلات الخارجية كالمصادر و التأثيرات أو الشهرة و السمعة، و لا تتيح لنا مثل هذه الدراسات أن نحلل و نحكم على عمل فني معين، أو حتى أن نتدبر نوعه ككلٍ معقد" (2). فالتشابهات و الاختلافات بين الآداب تدرس من خلال وصف و تفسير و تقويم البنى المعقدة للأعمال الفنية نفسها.

كما ترى هذه المدرسة أن الفصل المصطنع الذي تقوم به المدرسة الفرنسية بين الأدب المقارن و الأدب العام لا مبرر له : "فمن المحتم على الأدب "المقارن" و "العام" أن يتداخلا. و من المحتمل أن يكون من الأفضل الحديث ببساطة عن الأدب"(3).

و تعتمد مدرسة "المقارنين" الروسية التي ترأسها فيكتور جيرمونسكي على المنهج التاريخي المقارن للمعرفة العلمية، و يدرس هذا المنهج الأشكال التالية من العلاقات بين الآداب من خلال روابطها المتبادلة:

(1) الوحدة النوعية بين آداب قومية تجمعها صلات لغوية وثيقة، و تراث ثقافي و تاريخي مشترك، كالآداب السلافية.

(2) تشابهات الأنماط الأدبية الناشئة عن تماثل أو تقارب مستويات التطور الاجتماعي، و تقوم هذه العلاقة على النظرية الماركسية عن وحدة تطور العالم، و على حكمها الرئيسي القائل بأن :"الوعي الاجتماعي للناس هو نتاج وجودهم الاجتماعي ، كما أنه ثانوي بالنسبة للعلاقات الإنتاجية المادية و ناتج عنها. ففي الوجود الاجتماعي بالذات أي في نشاط الناس الإنتاجي المادي يجب البحث عن مصدر آرائهم و أفكارهم و نظرياتهم" (4). و الأدب بوصفه نوعاً من أنواع الوعي الاجتماعي، و تجسيداً للوجود الاجتماعي في صور يرتبط تطوره بتطور الوجود الاجتماعي الذي يمده بموضوعاته و أفكاره و قرائه، و لذلك فإن المجتمعات الواقعة على درجات متماثلة أو متقاربة من التطور الاجتماعي تظهر بين آدابها أوجه تشابه كثيرة، و إن لم تقم بينها صلات و احتكاكات أدبية مباشرة. يقول فيكتور جيرمونسكي مقدماً نظريته عن وحدة التطور الأدبي التاريخي المرتبطة بوحدة التطور الاجتماعي – التاريخي للبشرية : "من هذا المنطلق نحن نستطيع، بل يجب علينا، أن نقارن بين الظواهر الأدبية المتشابهة التي تظهر في المراحل المتماثلة من التطور الاجتماعي – التاريخي، حتى لو لم تقم بينها صلات

أدبية مباشرة"(5). و من هنا نشأن ضرورة دراسة تشابهات الأنماط الأدبية (6). و تظهر هذه التشابهات النمطية التاريخية، التي تنتظم الشكل أو المضمون أو كليهما، بين الظواهر الأدبية في جميع مراحل التاريخ الأدبي، و تعكس توازيات التطور الأدبي لدى الشعوب المختلفة في المراحل المتماثلة من التطور الاجتماعي، و يشير جيرمونسكي إلىأن الشكل الرئيسي للتشابهات النمطية بين آداب الشرق و الغرب في العصور الوسطى، في مرحلة الإقطاع، كان الفنون الأدبية السائدة(الأدب الملحمي البطولي الشعبي، شعر الفرسان الغنائي، الرواية الفروسية الشعرية، و من ثم الفنون المدنية الخاصة : الفابليو و الشفانكي و الحكايات الشرقية، و التعليم و الهجاء) التي تعاقبت تعاقباً طبيعياً و كان من المميز لها اختفاء التأثيرات الفردية، و هيمنة النمطية على الفردية.

أما الشكل الرئيسي للتشابهات النمطية بين الظواهر الأدبية في العصر الحديث و منذ نشأة القوميات البرجوازية، فهو التيارات الأدبية المتعاقبة (النهضة، الباروكو، الكلاسيكية، الرومانسية، الواقعية النقدية، الموديرنية، الواقعية الاشتراكية) التي شملت آداب الشعوب المختلفة، في أشكال متشابهة،على الرغم من الفوارق المرتبطة بخصوصية التطور الاجتماعي التاريخي لكل شعب. و من المميز لها بروز الذات المبدعة و الخصائص الفردية للإبداع الأدبي في مركز العملية الأدبية.

(3) التأثيرات الدولية المتبادلة بين الآداب:و يرى جيرمونسكي أن هذه التشابهات النمطية–التاريخية بين الآداب لا تستبعد التأثيرات على العكس ، إن وجودها يشكل المقدمات الضرورية لحدوث التفاعلات بينها فالتأثير العميق لا يحدث إلا عندما تظهر في المجتمع المتأثر الحاجة إلى" الاستيراد الإيديولوجي" ، و في الوقت نفسه، يؤكد الباحث أن كل تأثير يخضع في البيئة المتأثرة لتحوير اجتماعي يرتبط بالحاجات الاجتماعية، و لكل عصر من العصور الاجتماعية نوع التأثير المناسب له. و قد ركز جيرمونسكي، دائماً ، على أن تلقي المبدع للتأثير ليس تلقياً خاملاً أو سلبياً ، بل هو عملية فعالة، و معالجة نشطة قد تصل إلى درجة الصراع مع المؤثر و ينتج عنها فنها الخاص.

و إذا كان هدف الدراسة المقارنة المتوازنة هو ايضاح أوجه التشابه و الاختلاف القائمة بين الآداب القومية دون التحيز للأدب القومي أو الجور عليه، فإن المنهج التاريخي المقارن بدراسته للأشكال المختلفة من العلاقات بين الآداب لا يقصر دراسته على التأثير كما تفعل المدرسة الفرنسية، و لا يتنكر للتأثير ، كما تفعل المدرسة الأميركية ، بل يرى أن التأثير أشد ما يكون قوة عندما يقع على قاعدة من التوافقات النمطية.

الدور الحاسم للقوانين النمطية في التأثير:

و لنأخذ التأثير الذي أحدثه مكسيم غوركي في تطور التيار الواقعي في الأدب العربي الحديث بعامة، وفي أدب حنا مينة بخاصة، إن الدور الحاسم في هذا التأثير يعود للقوانين النمطية.

تعود نشأة التيار الواقعي في ال[لأدب العربي الحديث إلى بداية القرن العشرين: فترة الموجة الجديدة من الحركة التحررية القومية و يقظة آسية و إحياء الحركة المناهضة للإنكليز في مصر، و للترك في سورية، و ظهور الأحزاب القومية البرجوازية المناضلة من أجل استقلال الوطن العربي و تزايد حدة النضال من أجل الإصلاحات الاجتماعية فيصوغ عبد الرحمن الكواكبي موضوعاته النظرية في كتابه(طبائع الاستبداد)عام (1901) و يطرح قاسم أمين برنامجه لتحرير المرأة و يحرض مصطفى كامل الجماهير في مصر على النضال ضد سياسة الإمبراطورية البريطانية، و يفضح ولي الدين يكن استبداد السلطان عبد الحميد (7).

و قد حددت هذه الأحداث في حياة البلدان العربية طريق تطور الأدب، و أدت إلى ازدهار الصحافة و المطبوعات بشكل لم يسبق له مثيل، كما أجبرت الكتاب على الإلتفات إلى المواضيع النضالية و على الكتابة الصادقة عن العصر. و في عام 1914 ظهرت قصة محمد حسين هيكل "زينب" التي أنهت عصر التنوير و بدأت عصر الواقعية في الأدب من الطبيعي تماماً في هذه المرحلة التاريخية أن يصبح اسم مكسيم غوركي معروفاً في العالم العربي، فقد استجابت مؤلفاته النابضة بالحماسة النضالية لطموح شعوب الشرق إلى الحرية و الاستقلال، و هيأت سنوات الكفاح الطويلة لشعوب البلدان العربية من أجل التحرر الوطني و الاجتماعي المناخ المناسب لتلقي مؤلفاته.

بدأ القراء العرب يعرفون اسم غوركي و أدبه منذ عام (1899) عندما قام عبد الفتاح القاضي، مؤسس جريدة "روح العصر" ، بنشر مؤلفات غوركي التالية "عن الشيطان"، "أيضاً عن الشيطان"، "الأصدقاء"، و بعد ذلك ظهرت "أنشودة العقاب" (1903). و "الكهل"(1906) ترجمها أنطوان بلان عن الروسية.

من أهم الترجمات الأولى لمؤلفات غوركي إلى اللغة العربية ترجمة بعض أهاجيه من سلسلة "أحاديثي الصحفية" التي نشرت في القاهرة عام (1907) ضمن مجموعة"مختارات من الأفكار الجديدة للكاتب الشهير مكسيم غوركي "، و قد ترجمها عن الروسية "سليم قبعين" أحد أنشط المترجمين لمؤلفات الكتاب الروس إلى اللغة العربية في بداية القرن العشرين ، و قد تضمنت هذه المجموعة الأهاجي التالية:"الملك الذي يحمل رايته عالياً "، "احد ملوك الجمهورية"، " فرنسا الرائعة" ، و مقالة "القضية اليهودية".

و تلاحظ أنا دالينينا، المستشرقة السوفييتية المعروفة، أن ظهور هذه المجموعة رافق النهضة الجديدة لحركة التحرر القومية في بلدان الشرق العربي فقد كان عام (1907) عام الانتفاضات الفلاحية، العام الذي انشأ فيه مصطفى كامل صحيفة "اللواء" و أسس الحزب الوطني الذي فضح سياسة المحتلين الإنكليز في مصر، و تطلب خروجهم من البلاد.

و ترى دالينينا أن مترجم هذه المجموعة، سليم قبعين، كان قريباً ، عقائدياً ، من فئات البرجوازية الصغيرة المدنية التي تحلقت حول مصطفى كامل(8). إن البلدان العربية الساعية إلى التحرر من نير الترك ،وجدت نفسها في بداية العشرينات واقعة تحت الانتدابين الفرنسي و الإنكليزي ، و قد انعكست فترة الانتداب الفرنسي لسوريا (1920–1946) في الأدب العربي السوري الذي صور النضال الشعبي ضد السياسة الاستعمارية في فترة الثلاثينيات و أوائل الأربعينات من القرن العشرين يتزايد الاهتمام بمؤلفات غوركي مع تعاظم المد التحرري ، و غليان الأهواء السياسية، و بزوغ الفكر الاشتراكي ، و بروز الصراع الطبقي، و ظهور عدد من الصحف و المجلات اليسارية كمجلة"الطليعة"(1935)"وصوت الشعب" (1936)ومجلة "الطريق"(1941)التي أصدرتها"رابطة النضال ضد الفاشية" السورية اللبنانية و كان أحد مؤسسيها الناقد عمر الفاخوري، الذي وجه من خلالها:"بنقده الصائب، العميق، الضربة القاضية لمدرسة الرومانسية و البكاء و النواح، و افتتح عهداً صحياً الأدب فيه معافى، يعيش هموم الناس و يعبر عنها، و يلتزم بأنبل قضايا العصر : السلم و التحرر و التقدم"(9). و قد اهتمت هذه المجلات بنشر ترجمات مؤلفات غوركة و الكتاب الروس و السوفييت، إلى جانب الكتاب العرب و الأجانب . و كان من الطبيعي في الأعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية، و في فترة التحولات الاجتماعية و السياسة و الثقافية الكبيرة في الخمسينيات ، و اشتداد حركات التحرر الوطني في البلدان العربية ، أن يتنامى الاهتمام بالأدب السوفييتي ، الذي كان قادراً على تلبية حاجات التطور الأدبي فيها أكثر من غيره من الآداب

العالمية و هذا ما يعبر عنه حنا مينة بوضوح ، بقوله:"إن مدافع الحرب العالمية الثانية لم تحمل إلينا، في هذا الشرق أنباء انتصارات الجيش الأحمر على الجيوش الألمانية الغازية فقط ، بل حملت أيضاً أصداء الفكر الجديد، و الأدب الجديد و الواقعية الجديدة تلك التي كانت ظروف كفاحنا التاريخية تتطلبها و الإرهاصات الأدبية تبشر بها. وفي مصر ، كما في لبنان و سورية و العراق ، أكثر من دعوة لنزول الأديب إلى السوق ليكون من لحم و دم، ليغمس ريشته بعرق الناس ليستمد منهم نسغه الأدبي و يستلهم مشاعرهم و تطلعاتهم، و يصوغها و شعراً و قصة و رواية "(10) .

و قد ضمت رابطة الكتاب السوريين التي تأسست عام 1951،والتي تحولت عام 1954إلى رابطة للكتاب العرب،مجموعة كبيرة من الكتاب اليساريين ،و في جملتهم حنا مينة ، وجدت العون في تجربة الأدب السوفييتي و الآداب الاشتراكية الأخرى التي ازد هرت حركة الترجمة عنها في فترة الخمسينات من خلال دور النشر المختلفة(اليقظة و الرواد و العلم، و غيرها) ، و من خلال بعض المجلات الأدبية مثل "النقاد"الدمشقية(1950)،و "الآداب" البيروتية (1953)، و "الثقافة" الدمشقية (1958):"و تؤيد المقالات النقدية التي نشرت في صحف الخمسينات الاتجاهات نفسها التي ظهرت في الترجمة و كذلك تشير إلى تطورات المستقبل ، إذا لم يخلُ عدد من أعداد (النقاد) و (الثقافة) و بعض و الثقافة و بعض الصحف اليسارية من مقالات الأدب الروسي أو غيره من آداب أوروبة الشرقية (11).

ويشير الدكتور حسام الخطيب نقلاً عن مراسل مجلة "الآداب" في دمشق إلى "شغف قراء الخمسينات في كل من سورية و العراق بالترجمات، و إلى إقبالهم على القصص الروسي بوجه خاص"(12).

و من الطبيعي أن تحتل ترجمات مؤلفات غوركي الثورية و الاجتماعية، مركز الصدارة، في حركة الترجمة الناشطة في تلك الفترة، بحكم قوتها الفنية و الفكرية، و يشير الدكتور محمود رضوان ظاظا إلى الترجمات التالية لأعمال غوركي في سوريا و لبنان ، في فترة الخمسينات و أوائل الستينات:

-"الأم"، ترجمة فؤاد و سهيل أيوب، دار اليقظة العربية، دمشق 1952.

-"الساقطون"، ترجمة سهيل أيوب، دار اليقظة العربية، دمشق 1953.

-"بين الناس"، ترجمة ليان ديراني، دار اليقظة العربية، دمشق 1954.

-"الحضيض"، ترجمة فؤاد و سهيل أيوب، دار اليقظة العربية، دمشق 1955.

-"مراسلات غوركي مع تشيخوف"، ترجمة جلال فاروق الشريف، دار اليقظة العربية، دمشق1953.

-"طفولتي"، ترجمة سهيل أيوب، دار الرواد، دمشق1953 أو 1954.

-"مالفا"، ترجمة سهيل أيوب، دار الرواد،1954 أو 1955.

-"اسرة أرتامونوف"، ترجمة منير البعلبكي (جزآن)، دار العلم للملايين، بيروت 1952-1953.

-"ستة و عشرون رجلاً و فتاة واحدة"، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت 1954.

-"حكايات من ايطاليا "، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت 1954.

-"مولد انسان و قصص أخرى"، ترجمة سهيل أيوب، دار بيروت للطباعة و النشر 1953.

-"توماس غورديف"، دار بيروت للطباعة و النشر،1953.

–"محادثات مع مكسيم غوركي"، للكاتب الروسي إيفانوف، ترجمة جلال فاروق الشريف، دار الروائع، بيروت1954.

–"المشردون"، ترجمة جورج جرداق،دار الروائع، بيروت 1960.

–"مكسيم غوركي بقلم مكسيم غوركي"، للكاتب الروسي إيفانوف، ترجمة جلال فاروق الشريف، دار بيروت للطباعة و النشر،1954، و كان قد صدر بالفرنسية بالسنة ذاتها"(13).

إن ملاحظة الدكتور ظاظا الأخيرة تؤكد الأهمية البالغة التي حازتها أعمال غوركي في تلك الفترة، فترة الخمسينات التي شهدت أقوى نهوض ثوري و اجتماعي للعرب في العصر الحديث.

من الجدير بالذكر أن حنا مينة المعجب بغوركي الذي أطل:"على العالم بنظرة جديدة ، و أبطال جدد خرجو من ساحات الحياة الخلفية"(14)، ترجم بنفسه بالاشتراك مع رئيف خوري، رواية غوركي "فارنكا اوليسوفا"(15)، و هو يشير إلى تأثره بواقعية غوركي بقوله: "في تأثري بالمذهب الواقعي كان لي اتصال بنجيب محفوظ من الروائيين العرب، و بغوركي من الروائيين العالميين"(16).

إن كل نشأة و تطور المذهب الواقعي في الأدب العربي، و لا سيّما السوري، تثبت أن :"المذاهب الأدبية لا تنشأ و تتطور بقرار فوقي، بل تجيء حصيلة لتطور مجمل الواقع الثقافي من خلال ارتباطه بحركة الواقع الاجتماعي ككل بجميع جوانبه و معطياته التاريخية"(17) و يطورها التأثير.

و قد أثرت مؤلفات الكاتب الروسي الواقعي الكبير مكسيم غوركي تأثيراً كبيراً في تطور المذهب الواقعي في الأدب العربي بعامة، و السوري بخاصة، و كانت منسجمة مع العملية الثورية الجارية في العالم العربي، و مع الصراع مع التقاليد البالية في الحياة و الأدب و اللغة الأدبية، و مع التغيرات في وعي الناس.

و يثبت تاريخ مؤلفات غوركي إلى اللغة العربية، في مراحله المختلفة، صدق مقولة جيرمونسكي عن أن :"إمكانية تأثير أدب ما في أدب آخر ترتبط بقوانين التطور الطبيعي للمجتمع المتأثر و أدبه"(18)، و بحاجة الأدب المتأثر إلى الاستيراد الايديولوجي". و لا يرصد الدور الحاسم للقوانين النمطية في التأثير الذي يحدثه أدب في أدب آخر وحسب،بل وفي التأثير الذي يحدثه كاتب في آخر أيضاً . إن حياة حنا مينة الشجاعة و المترعة بالمقاساة و النضال شبيهة إلى حد كبير بحياة مكسيم غوركي ، فقد عانى كلاهما في طفولته و شبابه من العمل الشاق، و شظف العيش، في عالم قاس أضناهما بظلمه، و لكنه لم يستطع أن يحطم فيهما الأمل بالمستقبل ، و الثقة بالانسان و الانسانية.

و مثل مكسيم غوركي، قطع حنا مينة طريقه الصعب من القلق و الحزن و الهم و اليأس و التألم من الظلم الاجتماعي ، إلى النضال الشجاع في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية، و مثل الكثير من الناس الملتصقين بقاع الحياة، المعانين من الجوع و الفقر و الحرمان، هيأت الحياة غوركي و حنا لتقبل الاشتراكية كفكرة منقذة من الاضطهاد و الاستغلال. يقول حنا في أحد لقاءاته الصحفية موضحاً استعداده الحياتي لتقبل الأفكار الاشتراكية:"لم اتعلم الفكر الاشتراكي بل عشته، أكلته مع الجوع و العري، و الخبز اليابس، و الخبز مع الماء، و مع الشاي، و مع قطعة بندورة أو حبة عنب، و هكذا مثل النسغ الذي هو حصيلة هذا الطعام البائس صارت الاشتراكية نسغاً في جسمي من جراء حياة بائسة إلى أبعد حدود"(19)".

لنقارن كلمات حنا بكلمات غوركي الذي قال في إحدى المناقشات الحادة بقناعة تامة:"لقد علمني الماركسية، أكثر من الكتب التي كتبت عنهاو بشكل أفضل، سيميونوف الخباز في قازان و المثقفون الروس"(20).

و قد أعدت رحلة الحياة المتشابهة، ووحدة العقيدة الاشتراكية، و القرابة الروحية و الفكرية بين الكاتبين، المناخ المناسب لتأثير غوركي القوي و الخلاق في حنا مينة.

لقد كان مكسيم غوركي في تصور حنا شبيهاً بنهر عظيم:"تدفق عبر روسيا كلها، و نشر ربيع الأمل على الضفتين ، علم الناس أن يكونوا أسخياء كالنهر و أقوياء مثله في اكتساح الحواجز و السدود التي يقيمها الخوف من جريان الحقيقة في الأرض، و تبنيها الأنانية التي تريد الخير لها وحدها ، و الماء المقدس لحقلها"(21).

و على الرغم من سعة إطلاع الكاتب السوري على التراث الشعبي العربي و على الأدبين العربي و العالمي إلا أن المرءيشعر بهذه الرابطة الوثيقة التي تربط حنا بغوركي، فنجده يشير إليه في الكثير من كتاباته، و يستشهد بأقواله و أفعاله،كما يشير حنا إلى تأثره بغوركي في بداية نشاطه الأدبي في الأربعينات بقوله:"لقد تأثرت في قصصي القصيرة الأولى، التي نشرتها الصحف في الأربعينات ، بمكسيم غوركي، و قد يكون لذلك أثر في روايتي "المصابيح الزرق " أيضاً "(22).

و في كتابات حنا إشارات كثيرة إلى مؤلفات غوركي و أبطاله، و نحن نستبعد أن تكون هناك رواية لغوركي ترجمت إلى العربية و لم يقرأها حنا، بسبب إعجابه الشديد بشخصية غوركي، و بأعماله، و لا سيما بسيرته الذاتية، يقول حنا:"و سيظل الإنسان، كل إنسان، يجد في آثار هذا الكاتب، و في قصة حياته خاصةً العزاء و الأمل و القدرة المحركة الباعثة على العمل، و على النهوض لبناء حياة جديدة. إن غوركي الإنسان سيظل حياً في قلب الإنسانية"(23).

و المطلع على أعمال غوركي و حنا تجتذب انتباهه تلك التشابهات الكثيرة الموجودة بين مؤلفاتهما ، و لا سيما بين ثلاثيتي السيرة الذاتية عند الكاتبين، و على الرغم من أن روايات الكاتب السوري عالم فني كامل، و ساطع و فريد، إلأ أن تحليل مؤلفاته يقود الباحثين إلى القوةالإبداعية الخلاقة لتأثير غوركي في أدبه.

و يوضح ثراء الانطباعات الحياتية عند الكاتبين السمة العامة لعالمهما الفني: إن الكثبر من مؤلفاتهما يقوم على أساس واقعي من الحياة.

السيرة الذاتية بين مكسيم غوركي و حنا مينة:

صور مكسيم غوركي أحداث طفولته و شبابه في ثلاثية سيرته الذاتية"طفولتي"(1913)،"بين الناس"(1915)،"جامعاتي"(1923)، و تحدث فيها عن انطباعاته المأساوية و السامية في فترة السبعينات و الثمانينات من القرن الماضي، الفترة التي كانت تتشكل فيها الحركة الثورية الروسيةفي ظروف عصيبة تحت ظل الإقطاع و الرأسمالية الآسيويةو الاضطهاد القيصري، الفترة التي شرع يتوضح فيها : التناقض الصارخ في المجتمع البورجوازي، و راحت العواقب الناجمة عن هذا التناقض تزداد بشاعة (24)، و التي أدت فيما بعد إلى قيام الثورات الروسية الكبرى: ثورة (1905)، و ثورة اكتوبر (1917).

و سيرة حياة غوركي تشير إلى الانتقال : من أسلوبه في "الأم" إلى أسلوبه في الروايات المتأخرة. إنها تبين العملية المتناقضة و المفعمة بالتفاؤل التي رفع من خلالها غوركي، الإنسان البروليتاري العظيم، الأعماق البغيضة للحياة الروسية إلى السطح. و في المعرض الشامل للممتازين من أبناء الشعب رجالاً و نساءً (على سبيل المثال الشخصية المدهشة للجدة العجوز) يصف غوركي القوة الهائلة للشعب التي لا تتطلب غير قيادة الطبقة العاملة و طليعتها كي تتحول إلى كائنات إيجابية بحق في عالم اشتراكي"(25).

و تتشـــابه مؤلفـــات حنـــا عـــن ســـيرته الذاتيـــة" بقايـــا صـــور" (1975)،' "المســـتقع، (1977)، "الحصاد"(1986)،مع ثلاثية غوركي الآنفة الذكر على الرغم من الفارق الزمني بينهما، و يقص فيها حنا أحداث طفولته و شبابه في العشرينات و الثلاثينات من القرن العشرين، و يصف فيها الحياة البائسة لأسرته و حياة الريف و المدينة في تلك الفترة بكل ما فيها من شقاء و جهل و تخلف، و الأزمة الاقتصادية العالمية و ما جرته من ويلات، و نشوء الوعي الاشتراكي، و إرهاصات الصراع الاجتماعي الممزوج بالنضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي.

و يرى الدكتور عبد الرزاق عيد أن حنا مينة ينتقل في سيرته الذاتية من الحساسية الشعرية للواقع في "الشمس في يوم غائم" و "الياطر"إلىالإحساس الموضوعي به:"و يضع على عاتقه مهمة ذات شقين:

1- تصوير البشاعة و انهيار حلم الحياة بإدانة و عنف ، مبشراً في غياهب هذه الدياميس بالفرح الإنساني ليعود للحياة ألقها.

2- رصد معاني التحدي و الصمود و الكبرياء و الرفض بالإنسان مدافعاً عن نبل هذه المشاعر و عظمتها"(26).

و في سيرتي الكاتبين تتجلى ردود أفعالهما الفكرية و العاطفية و يمتزج الطابع الشخصي-السيري بالطابع الشعبي التاريخي . و نحن ننظر إلى تشابهات النشأة الاجتماعية للكاتبين، و ما عاناه كلاهما في الطفولة و الشباب من قسوة الحياة، و إلى ثراء انطباعاتهما الحياتية التي حتمت تشابه مفهوم غوركي و حنا عن العالم، و الموقف منه، كتجليات لفعل القوانين النمطية في الإبداع الأدبي الفردي، دون أن يغيب عن بالنا التأثير الفكري و الفني الشامل لغوركي في حنا مينة الذي أعدته الحياة لقبول هذا التأثير.

كان غوركي في الثالثة من عمره عندما مات والده، فأخذته جدته ليعيش معها في بيت جده الذي كان يملك عدداً من ورشات الصباغة في مدينة نيجني نوفجورد، و كان متديناً و متسلطاً و شحيحاً بصورة قاسية. و في بيت جده الذي كان مليئاً بالحقد و العداوة ، و لا سيما بين خاليه، يصطدم أليوشا(27) لأول مرة، بالقسوة الكبيرة في حياة "العشيرة الغبية المظلمة"(28) و عندما جلد الجد أليوشا بقسوة لذنب صغير ارتكبه، ظل الصبي ممدداً على صدره في السرير لعدة أيام يعاني المرض، و كانت أيام المرض تلك أياماً هامة في حياته، كما يقول:"منذ تلك الأيام ظهر عندي هذا الاهتمام القلق نحو الناس و كأنما الجلد سلخ عن قلبي، فغدا حساساً بشكل حاد، بكل ألم، و بكل إساءة تلحق بي أو بالآخرين"(29).

و عندما يأتي الجد إلى الصبي ليواسيه يتضح من حديثه مع الطفل أن القسوة ظاهرة عادية و مألوفة، يقول الجد لحفيده:"اتظن أنهم لم يضربوني، لقد ضربت يا أليوشا بقسوة لا تستطيع أن تتصورها في حلم مخيف، و آذوني بوحشية لو شهدها الله نفسه لبكى"(30).

و كانت جدة أليوشا بتفانيها و طيبتها المدهشة خيط الحياة و الضوء الوحيد لأليوشا في تلك "العشيرة الغبية"، تحنو عليه و تمسح على جراحه.

و قد مرّ حنا في طفولته بتلك الانطباعات الموجعة عن ظلم و قسوة العالم المحيط، فقد شاهد بأم عينه ما كان يقوم به الناس البسطاء من عمل فوق طاقتهم، و أحس، بحدة، بالظلم الذي يعاني منه الفقراء، و كان متأثراً من كل قلبه بالمصير الصعب لأمه التي كانت مجبرة على العمل كخادمة لتؤمن قوتها و قوت أطفالها في ظل غياب الأب الذي كان دائم الترحال، رامياً هموم أولاده الأربعة على زوجته، و مرسلاً بناته للخدمة في بيوت الأغنياء. و يتحدث حنّا بحرقة عن والده الذي كانت ميزته الأساسية "سكر ندم. سكر"، و الذي :"لم يتقن شيئاً

لأفضيلة ولا رذيلة"(31). و قد جعلت انطباعات الطفولة القاسية روح حنا جريحة و حساسة لآلام الآخرين في :"ريف فقير، فقير إلى درجة أن الجوع و المرض و الخرافة في كفة، و ظلم الإقطاع في كفة مقابلة، و كل فلاح يدب تحت ثقل الكفتين"(32).

في هذه الحياة الشقية كانت الأم، بالنسبة لحنا، مركز الدفء و الحنان، و الواحة الخضراء الوحيدة في عالمه المقفر ، الشديد اليباس، بتضحيتها التي لا تعرف الحدود في سبيل أولادها.

و هناك الكثير من الشبه بين جدة أليوشا بيشكوف و أم حنا : صفاء السريرة،و حب الناس، و الاستعداد لمساعدتهم، و من الجدة و الأم أخذ غوركي و حنا دروس الطيبة و الخيرالأولى في حياتهما، و هما بالذات من جعل العالم في عينيهما يبدو رائعاً رغم الجهمة السائدة فيه، و ملأهما بأساً لحياة صعبة.

و لم يبق مكسيم غوركي و حنا مينة في المدرسة إلا لوقت قصير و قد أثارت ثياب حنا المتواضعة و تسريحته السيئة تهكم و سخرية الأولاد منذ اليوم الأول لوجوده في المدرسة. و يذكر حنا في روايته "المستتقع" أنه لقي في المدرسة مختلف مظاهر الازدراء . لقد كان أفقر من جميع الفقراء الذين كانو معه في المدرسة، و لم يسمح له بالخروج في جنازات الوجهاء، و عندما كانت المعلمة تطلب منه ألا يأتي يوم الأحد إلى الكنيسة كان يعرف أن ذلك بسبب ثيابه غير الملائمة(33).

و يكتب غوركي في قصته "طفولتي": "لقد أثارت بي المدرسة منذ اليوم الأول النفور و الاشمئزاز، فقد ذهبت إليها منتعلاً حذاء أمي، و مرتدياً معطفاً خيط لي من كنزة جدتي، و قميصاً أصفر، و سروالاً طويلاً ، و قد جعلني كل هذا في الحال مدعاة للسخرية، و لقبت بسبب قميصي الأصفر بـ "الشاب الديناري""(34).

و كل من غوركي و حنا كلان مضطراً للعمل من أجل الخبز في سن مبكرة، و زاول مهناً عدة أتاحت له معرفة حقيقية و عميقة بالحياة، و أغنت انطباعاته، و كانت له مدرسة حياتية صارمة. و منذ الطفولة فهم أليوشا بيشكوف و حنا مينة أن المصائب و الآلام لا تحل بأسرتيهما فقط، و عرفا ما يعاني الشعب من أمراض و بطالة و جوع في واقعه الأسود و المر. و قد علمت الجدة أليوشا أن يتعاطف مع البائسين و يحنو عليهم ، و عندما وضعت الجدة على حفاف نوافذ بيوت الفقراء "صدقة هادئة" على الرغم من فقرها ، قالت لأليوشا :"آه يا أليوشا، الناس يعانون الفقر، و لا أحد يهتم بهم"، و أنشدت:

إن الغني لا يفكر في الله،
ولا يخطر له يوم الحساب على بال،
و الفقير ليس أخاً له أو صديقاً ،
لأن اهتمامه منصرف إلى جمع الذهب،
فليكن هذا الذهب جمراً يحترق عليه في جهنم.
هكذا يجب العيش : أحدنا يعنى بالآخر، و الله يعنى بنا جميعاً "(35).

و يدرك حنا، المشفق على والدته التي تحمل على كتفيها عبء العائلة الثقيل، أسباب شقاء والده الذي ترافقه الخيبة دائماً، و يرتسم على وجهه ندم مر يكبت ذاته بأكثر مما يستطيع أي أحد آخر أن يفعل، فيناجي أمه قائلاً:" أيتها الأم! يا أمنا، لا تقولي شيئاً لوالدنا. ها هو يعود، كما عاد تماماً ، تسبقه الخيبة. قاسميه خيبته. إنه زوجك، و

عليك، كما علينا، أن نكون معه لا ضده. ليس سيئاً لأنه مضطر أن يكون، و ليس وحيداً في السوء، مادام هذا قسمة مشتركة لكل الذين مثله يتخبطون في حمأة حياة نتنة"(36).

و قد علمت حنا والدته أن يعطف على الفقراء و المساكين و أن يمد يد العون للناس المحتاجين، و كانت تذكره ، دائماً ، كيف عطف الناس عليهم و ساعدوهم في الأوقات الصعبة، و على الرغم من بؤسها و فقرها:"كانت، أحياناً ، تمد يدها إلى صدرها و تتناول منديلاً عقدت طرفه على بعض القروش، فتعطي منه إلى هذه الجارة أو تلك"(37).

و تمتلئ صفحات مؤلفات غوركي و حنا مينة عن السيرة الذاتية بصور القسوة و العنف، فنجد في سيرة حنا كيف يضرب الآباء أبناءهم، و أبوه يضرب أمه، و الشرطة و المختار يضربون أباه و أمه و الفلاحين الآخرين، و رقيب الشرطة القادم من المدينة يضرب المختار. لقد كان فيض القسوة يعم المجتمع المبني على حق القوي.

و يشير غوركي إلى أن التلذذ بالقسوة على الإنسان و السخرية منه كان شكلاً من أشكال التسلية في هذه الحياة الخانقة المظلمة التي عاش فيها الانسان الروسي، لا هدف له إلا الترفيه عن النفس من الضجر البائس. و قد أدرك غوركي أن:"الروس بسبب فقرهم و تفاهة حياتهم يحبون، بشكل عام، أن يتسلوا بالحزن،و يلعبوا به، و من النادر أن يشعروا بالخجل من بؤسهم"(38).

و لكي يتخفف الروس مما تنوء به حياتهم من هموم و فقر و ضجر يهربون إلى الخمرة و الجنس لنسيان الواقع الأسود. يقول غوركي:"كان يحزنني أن أرى كيف يشرب الكثير من الناس الخمرة، و كم هم منحطون في سكرهم، وفي موقفهم من المرأة، على الرغم من أنني كنت أفهم أن الفودكا و المرأة هما التسليتان الوحيدتان في حياتهم"(39). إن ناتاليا كوزلوفسكيا التي كانت، من قبل، مستقلة، فخورة، صارت "بغياً" بسبب الإحساس المفرط بالألم والوحدة، لأن ابنتها الوحيدة هجرتها: "أما بالنسبة إلي، فها أنا ذا. إلى من يمكن أن ألجأ ..... ؟ إلى عابري الطريق ....." (40).

لنفس الأسباب يهرب أبطال مؤلفات حنا إلى الجنس و الخمرة فزنوبة التي قتل الإقطاعي زوجها، و مات ابنها الوحيد الشاب بمرض غريب، صارت مثل ناتاليا كوزلوفسكيا : "وحيدة حزينة، و كادت تجن لشدة حزنها، و لتتعزى شربت الخمر، و صارت مدمنة لامبالية بشيء،لأنه لم يعد لها في هذا العالم ما تبالي من أجله"(41)، و من ثم غدت فريسة سهلة للرجال.

والد حنا يهرب، كذلك، في مواجهته لصعوبات الواقع و تناقضاته، من إخفاقه المطرد في كل أعماله إلى السكر و المرأة، وحنا لا يلوم والده:"على شبقه المرضي، مادام ليس مسؤولاً عنه، و لا على سكره، هو الذي في السكر يغرق تعاسات دنياه"(42).

و يصف حنا الخرافة و الظلمة التي كانت تسود الناس البسطاء في سوريا في تلك المرحلة البائسة:"تدلى في عنقي حجاب لأجل البرداء، ووضعت الوالدة طي العصبة التي عصبتها على رأسها، أوراقاً كتبتها في تلك القرية و القرى المجاورة، و أذبنا أوراقاً و سقيناها ماءها، و حرقنا عيداناً و بخوراً ، فلم يفلح شيء منها في زعزعة الداء الذي ألم بها"(43).

يشير غوركي، أيضاً ، إلى شيوع الإيمان بالسحر و الخرافات بين الناس، و يتحدث عن امرأة كانت تعيش في الحي الذي كان يسكن فيه و :" كان الشارع كله يرهبها و يحسبها ساحرة، و قيل أنها حملت مرة زوجة عقيد مريضة و أولادها الثلاثة من منزل يحترق(44) .

وفي مستنقع الصلصال و العدم، وسط المرض و الجوع الذي دفع الناس إلى أكل البزاق و الأعشاب خلال الأزمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات، كان الانتحار مخرجاً لبعض أولئك الذين ضاقت في وجههم السبل. يقول حنا:"عندما انتحر "أندون" لم تكن تعليقاتهم معه و إذا كان له عذر في نظرهم فلأنه صاحب عائلة، و قد عز عليه إلى درجة الجنون أن يرى أطفاله جياعاً ، أما سليمان فقد كان شاباً و لم يكن متزوجاً لذلك احتار الناس في تفسير إقدامه على الانتحار"(45).

و يشير غوركي إلى أن الانتحار كان ظاهرة شائعة بين الناس الذين قهرتهم الحياة بقسوتها، و سلبت منهم الرغبة فيها:" كان الخريف مبكراً و ماطراً و بارداً و غنياً بالأمراض و الانتحارات"(46).

أسياد و عبيد، أغنياء و فقراء، شر و غباء و قسوة و ضجر يائس و جوع و مرض و خرافات و انتحارات. واقع قاتم يشمل كل شيء بشناعاته و بشاعاته. و غوركي و حنا الغارقان في حضيضه يهربان منه إلى الطبيعة الأم في عالمها النقي ، يجدان فيها الأمل و الحلم، يسربان إليها آلامهما و يستلهمانها القوة. فغوركي الطافح بالكراهية لعفونة الواقع الروسي البشع يعشق الشمس القادرة وحدها على تطهير الأرض بأشعتها المقدسة، و يحمل إليه شروقها السعادة:"و فيما الشمس تتسلق صعداً تدفئ، فرحةً، الأرض الباردة العارية و تباركها، فتطلق الأرض أشذاء الخريف العذبة، و الهواء الشفاف يريك العالم كبيراً لا حدود له، و كل شيء يسبح بعيدا ، و يغري بالذهاب على أقاصي الأرض الزرقاء. لقد رأيت شروق الشمس في هذا المكان عشرات المرات، و في كل شروق لها كان يولد أمامي عالم جديد له جماله الخاص.."(47) .

و حنا المحاصر بالحدود الضيقة المقيتة لواقعه المر، يعشق البحر بامتداده و نقائه و مداه غير المحدود:"عندما أطللت على البحر أحسست بنداوة في قلبي. كان ذلك الأزرق الصامت المرتعش تحت أشعة الشمس المنكسرة، يمتد بعيداً ، راحلاً بالنظر إلى مدى لا محدود، كأنما هدم، لأجلي وحدي، كل السدود و الحواجز التي حالت، في المدينة، بيني و بين إرسال النظر إلى بعيد"(48).

و الرغبة في التطهير من كل أدران الواقع، الرغبة بعالم أفضل و ألطف و أنقى تدفع بالكاتبين أيضاً إلى أحضان الكتب فحنا مينة الذي تؤلمه تشوهات العيش، و يجد نفسه في الوقت ذاته، عاجزاً عن إزالتها يشعر بالضعف و الحنق و الإحباط و :"القراءة وحدها، في مثل هذه الحال، كانت تمتص بعض نقمتي على ضعفي، و بعض حنقي على الوجود، و شيئاً من الاحباط المبهظ الذي أستشعره"(49).

و يقول غوركي:" لقد غسلت الكتب نفسي، و خلصتها من قشرة الانطباعات المرة و المعسرة عن الواقع فأدركت قيمة الكتب الجيدة، و مدى حاجتي إليها"(50).

و قد نشأ غوركي و حنا مينة في أسرتين مسيحيتين، و كانت الديانة بالنسبة لجدة غوركي و أم حنا عزاءً و أملاً ،و الصلاة سبيلاً للتخفف من أعباء الواقع . و كانت جدة غوركي تحدث الله في صلواتها المسائية الطويلة عن كل شيء ، و تطلب منه أن يرفق بهم، و أن يعقل الجد، و يرشده إلى سواء السبيل، و أن يرسل قليلاً من الفرح لابنتها فارفارا(51). و كانت أم حنا تتقدم في صلواتهاإلى ربها بمثل هذه المطالب الحياتية الملحة، فتطلب

منه الرزق و الصحة و العافية، و أن يهدي الوالد و يجعله يترك السكر، و أن يحفظ بناتها من السوء و أولاد الحرام(52).

و على الرغم من أن جد غوركي و أبا حنا كانا يصليان أحياناً أيضاً ، إلا أن صلاتهما كانت مختلفة كل الاختلاف عن صلاة الأم و الجدة. فيلاحظ غوركي أن جدته كانت تحدث الله من صميم قلبها، و تجد في كل مرة كلمات جديدة في مديحها للعذراء بينما يكرر الجد نفس الصلوات التي يحفظها عن ظهر قلب حتى إن الجدة قالت له ذات يوم:"لا شك أن الله يضجر من سماع صلواتك يا أبتاه فأنت دائماً تردد نفس الكلمات"(53). كما لاحظ حنا أن أمه كانت تصلي بخشوع ، و بصوت مسموع، بينما كان الأب يغمض عينيه و يتمتم:"الأرجح أنه كان لا يحفظ صلاة بعينها، و تمتماته كلمات مهبوشة من هنا و هناك"(54).

و قد أحب غوركي إله جدته اللطيف و الطيب و الذي يمكن التحدث معه ببساطة، عن كل الهموم التي تثقل على كاهل المرء، و طلب مساعدته في تغيير وجه الحياة البائس الذي يضغط عليه، و يدفعه إلى البحث عن سبيل للتخفيف من هذا البؤس:"كنت أمشي مفكراً:" ما أحسن أن أصبح قاطع طريق أسلب الأغنياء و البخلاء و أعطي الغنائم للفقراء، و أن يصبح الجميع شبعانين، فرحين، لا يعرفون الحسد، و لا ينبح أحدهم في وجه الآخر كالكلاب الشريرة.و ما أجمل لأن أذهب إلى إله جدتي و عذرائها فأروي لهما الحقيقة الكاملة عن الحياة البائسة و السيئة للناس، و كيف يدفنون بعضهم بعضاً في الرمل المخيف بصورة مؤلمة، و عن الأمور المؤذية على هذه الأرض التي يجب القضاء عليها. فإن صدقتني العذراء، سأطلب منها أن تمنحني ذلك العقل الذي يمكنني من إعادة بناء كل شيء بشكل أفضل"(55).

وحنا صلى طويلاً في طفولته، وطلب من العذراء ألا يسكر الوالد، وألا تخدم أمه وأخواته في بيوت الناس، كما طلب من العذراء أن تغير الحي فتجعله نظيفاً جافاً فيه أشجار مثمرة، وطيور مغردة: ولقد طلبت من العذراء ذلك طويلاً، ولم يتغير حينا، وقصصت ذلك على شاب من الحي كان سجيناً في حلب فقال: لو كان الدعاء يغير أحوال الناس والأحياء لتغيرت منذ زمن بعيد (.....) عليك بدلاً من أن تطلب إلى العذراء أن تغير الحي، أن تغيره بنفسك "(56).

إن غوركي وحنا فهما مبكراً، أن الإنسان قادر على تغيير شروط حياته الصعبة، وأن تكريس القدرية يقوم به أولئك المستغلون الذين لهم مصلحة في بقاء الناس على خمولهم وجهلهم.

كما عرف غوركي في وقت مبكر، أن الرغبة في تغيير العالم إلى الأفضل لا تكفي وحدها، وأن عليه أن يعمل من أجل هذا التغيير، وهكذا نجده في قازان التي ذهب إليها لطلب العلم، فوجد نفسه منغمساً في الحركة الثورية، فيتعرف على الحلقات الثورية للشعبيين، وأثناء عمله في مخبز سيميونوف يحاول أن يبث روح الثورة في نفوس العمال، والأمل في حياة لائقة بالإنسان: " وكنت أتوفق أحياناً فإذا شاهدت وجوههم المنتفخة تضيء بالحزن الإنساني، وعيونهم تلتهب بالاستياء والغضب، أشعر بالإبتهاج، وأفكر بفخر بأني "أعمل بين الناس " و "أوعيهم" .(57)

وما جذب غوركي إلى الشعبيين حبهم للشعب في المقام الأول، فقد كان الشعب بالنسبة إليهم تجسيداً للحكمة والطيبة والجمال الروحي، ومصدر لكل ماهو عظيم، ولكن غوركي لاحظ فيما بعد أن "عباد الشعب" لا يعرفون الحياة الحقيقية للشعب، وكانت استنتاجاتهم ونقا شاتهم بعيدة عن قضاياه الملحة، كما أنهم كانوا ينظرون إلى غوركي باستعلاء عندما يعظونه، مما جعله يشعر بأزمة نفسية حادة اشتدت بعد سماعه لنبأ وفاة جدته الغالية

التي أصبحت متسولة في أواخر حياتها، وخيبة أمله في رفاقه العمال في المخبز، فيفقد الإيمان بإمكانية تغيير هذه الحياة البشعة، ويقرر الانتحار، فيطلق رصاصة على قلبه، إلا أن الرصاصة خرقت الرئة ليسرى، وكانت الإصابة خطيرة ولكنها لم تصب القلب، وقد ساعد غوركي على استعادة قواه مجيء رفاقه العمال في المخبز لزيارته في المشفى، : " إذ قرأ في وجوههم القلق عليه، والعتاب المشوب بالحب له، ففهم أنه لم يكن عادلاً معهم، وأن خيبة أمله فيهم، مثلها مثل الآمال العظيمة التي علقها عليهم، لم تقم على أساس كافٍ، وأن من الممكن تغيير الحياة، لكن ليس بهذه السرعة والسهولة التي تخيلها، ومنذ ذلك الحين لم تستطع أية محنة أن تحطم إرادة غوركي في الحياة، وفي النضال من أجلها "(58).

وكان لصداقة غوركي مع الأوكراني روماس، عامل سكة الحديد الذي أمضى عشر سنوات في المنفى في ياكوتسك، وعاد لينظم دعايته الثورية في قرية كراسنوفيدوفا على مقربة من قازان، أثر كبير في نقاهته النفسية. لقد كان روماس يرى أن توعية القرية يجب أن تتم قبل أي شيء آخر .

ولم يكن مقدراً لروماس وأنصاره وفي جملتهم غوركي، أن تمر مهمتهم بسهولة في القرية، فقد ناصبهم الفلاحون العداء : هاجموهم ليلاً بالهراوات، وحاولوا القيام بنسف البيت، وقتلوا الفلاح إيزوت، نصير روماس.

إن مقتل إيزوت هز، بقوة، روماس وغوركي، وأعاد إلى ذهن غوركي سؤالاً قديماً كان يشغل باله: لماذا يكره الناس أفضل أبنائهم، الساعين إلى خلاصهم؟ وقد قدم روماس له الإجابة الشافية : " فكر، إن الناس قد بذلوا جهداً كبيراً حتى نظموا شكلاً من أشمال الحياة ألفوه، وفجأة يتمرد أحدهم عليه : طريقة حياتكم ليست صحيحة. لماذا ليست صحيحة؟ لقد بذلنا أفضل قوانا عليها، ليأخذك الشيطان ويهجمون على ذلك المعلم القديس، لاتعرقلنا! ومع ذلك فإن الحق مع هؤلاء الذين يقولون : طريقة حياتكم ليست صحيحة. الحق معهم. وهم يحركون الحياة نحو الأفضل " (59).

في نهاية الأمر يحرقون دكان روماس، فيخرج هو وغوركي من كراسنوفيدوفا. وقد اصطدم حنا مينه أيضاً في بلده اسكندرونة، بشك الناس في الساعين إلى خلاصهم، فيتذكر أنه في فترة الأزمة، الاقتصادية العالمية في الثلاثينات التي انتشرت فيها البطالة، وخيم شبح المجاعة على المدينة، وكثرت انتحارات الذين ضاقوا ذرعاً بالحياة في حديقتها ظهر مناضلون كفايز الشعلة، وعبده حسني، وسبيرو الأعور، وأخذوا يحرضون الشعب على الثورة ضد المحتل الفرنسي والإقطاع، ويروجون للأفكار الاشتراكية، وضرورة تنظيم النقابات، ويقودون المظاهرات. وأدركت السلطة المحلية خطورة هؤلاء فلاحقتهم، وانقسم الناس، في أمرهم بين مؤيد لهم، ومتشكك فيهم، ومنقلب عليهم. وقد تعلم حنا : " في وقت مبكر أن أصعب مافي النضال هو شك الذين تناضل لأجلهم، وتألبهم عليك، إذا ما خدعوا أو حرضوا من قبل عدوهم نفسه، ومحاولتهم قتلك لأنك خرجت على معتقداتهم، وتبشر بحياة غير التي ألفوا، فهم يتهمونك بالسحر والشعوذة، ويرجعون إليك كل نازلة جديدة تنزل بهم، ويسعون للاقتصاص منك من أجلها، ويتهمونك بأنك تثير الفتن.

وعندما وقع في يدي كتاب مكسيم غوركي، بعد ذلك بأعوام طوال، وقرأت ما عانى المناضل الثوري في العهد القيصري، روماس الأوكراني، من الفلاحين الذين ذهب لتوعيتهم، وجدت الجواب على تلك الـ"لماذا" التي ارتسمت أمامي ذات يوم كبيرة منذرة " (60) .

نلاحظ أن الأحداث المصورة في ثلاثية السيرة الذاتية لمكسيم غوركي محددة بأطر زمنية أخرى هي سبعينات وثمانينات القرن الماضي، أما الزمن الذي يصفه حنا مينه فيتصف بنشوء الحركة العمالية وتطورها، نحن

لانجد في ثلاثية غوركي الحقائق التاريخية التي نجدها في النسيج الروائي عند حنا مينة : فأبطال حنا مينة يتحدثون عن النقابات، ويلعب اسم لينين دوراً خاصاً. والحقيقة الأخرى المهمة أن سوريا كانت مستعمرة في ذلك الزمن، وتلعب عناصر النضال ضد الانتداب الفرنسي دوراً هاماً في المنظومة الفنية لروايتي " المستنقع "و" الحصاد".

وما شدّ حنا إلى المناضلين رغبتهم في تحسين حياة الشعب، وقد تعلم حنا منهم، وعندما هاجرت أسرته إلى اللاذقية، بعد سلب تركيا للواء الاسكندرونة، وعملت في قطاف الزيتون لتؤمن عيشها، يكتشف حنا أن الفلاحين خاضعين للاستغلال كالعمال، وأن الموت يتربص بهم بسبب الأفاعي الكثيرة الموجودة حولهم، ويندهش من عدم وجود أية بادرة من بوادر المقاومة عندهم، ويشهد ما يبذله الفلاحون من تعبٍ وعرق وصحة ودموع لأجل الحصول على الكفاف.

هذا الإحساس المضني بصعوبة الحياة، ملأ حنا بالنقمة عليها، فيشعر بأزمة نفسية خانقة: لقد راودتني، في تلك الأيام، فكرة الانتحار، ومن عجب أن هذه الفكرة ظلت تراودني طوال حياتي، ولكنني مع ذلك لم أنتحر. لم أملك الشجاعة الكافية لذلك من جهة، ولأن الأفكار التي أحمل حمتني من المغامرة من جهة أخرى، (61).

وكان المخرج من الأزمة النفسية عند حنا، كما كان عند غوركي، مرتبطاً بعمل محدد. لقد رأى حنا أن مهمته التي لا تنتظر التأجيل تكمن في إيقاظ وعي الشعب وتنوير الناس الذين: "يعيشون كيفما اتفق أن يعيشوا، وعلى من يريد إقاظهم أ، يدفعهم للتفكير كيف يصح أن يعيشوا (...) وهذا ماسو ف أمارسه " (62).

لكن حنا مينه اصطدم، في محاولته لنشر الوعي ب: " أدمغة تتصفح من الداخل ضد الفهم. تكون مدرعة وحديدها كتيم" (63)، ولم يكن راضياً في مهمته التبشيرية عن اللاذقية التي : " تغط في سبات، ولا تعمل أيما فتة للتوعية، وليس في اللاذقية كلها، ول في شركة الريجي، نقابة" (64) .

ويشعر بالفرق الكبير بينها وبين مدينة اسكندرونة الرافضة للاحتلال، والمتمردة على الظلم الاجتماعي، والتي علمته الأفكار الاشتراكية.

إن مايذكره فايز اسماعيل يؤكد، في الواقع، قوة الحركة الثورية ضد الظلم الاجتماعي والقومي في لواء اسكندرونة، في الثلاثينات من هذا القرن، فقد كان : " الحماس العارم يجتاح الشعب العربي بأسره في اللواء، المحاضرات والخطب والندوات

تلقى كل يوم هنا وهناك ،المظاهرات والإضرابات والصدامات والشهداء هي الصورااليومية الدائمة التي تمثل واقع اللواء"(65).

ويتابع فايز قائلاً: "كانت الاشتراكية بالنسبة إلينا سلوكاً ومواقف أكثر منها فكراً علمياً ونظاماً مُحدداً، فقد كنا حرباً على الأغوات والبيكوات والحكام العرب، ومن خلال حربنا هذه كنا نطالب بحقوق الشعب كاملةً، ونستقطبُ الجماهير على هذا الأساس"(66).

إن إيمان غوركي وحنا بالاشتراكية نبعَ من رغبتهما الحارة في مُجتمعٍ خالٍ من الفقرِ والجوعِ والظلمِ والاستغلالِ، وقائمٍ على مبادئ الجمالِ والإنسانيةِ، مما جعلهما يُعريان تعريةً صارمةً كلَّ مظاهر البؤسِ والقهرِ والبشاعةِ في المُجتمعِ الطبقي القائم على استغلال الإنسان، وعلى التسلي بآلامه وأحزانه، دون أن يفقدا الأمل بحياةٍ مُشرقةٍ. فمن خلال المرارةِ التي يصفُ بها غوركي بشاعات الحياة الروسيةِ، تنبثقُ الثقةُ والإيمانُ بقدرة الإنسانِ على التغلبِ عليها: "ليسَ ما يدهشُ المرء في حياتنا تلك الطبقة الكثيفة والصلبة من الدناءات البهيميةِ المُختلفةِ التي

تطفو على سطحها وحسب، بل ما يُدهشهُ أن العناصر الخلاّقة والصحية والنيِّرة، تستطيعُ، مع ذلك، أن تتغلبَ عليها، وتنمو من خلالها، كما تنمو العناصر الإنسانيةُ والخيِّرةُ موقظةً أملاً لا يُقهَر في بعثنا إلى حياةٍ إنسانيةٍ مُشرقةٍ" (67).

وحنا مينة الذي صهرته الحياةُ في أتون شقائها، مثل غوركي لا يفقدُ، مُطلقاً، الثقةَ بالإنسانِ والإنسانيةِ، بل يؤمن بأنَّ الدنيا فيها من الأخيارِ بمقدار ما فيها من أشرار: " وحتى الأشرار كانت في نفوسهم نقاط خير، فإذا استطعت مُلامستها أضاءت، وعندئذٍ كانوا يبذلون الأشياء عن طيبةِ خاطر، كأنما ليُعوِّضوا عن الحمأةِ التي يتردونَ فيها. ولقد دفعني عطفُ الناس ومؤاساتهم، والخير البادي أو المُستتر في نفوسهم، إلى حُبِّ الآخرين، وإلى حُبِّ الإنسانِ والإنسانيةِ حُباً عظيماً، وإلى الإيمان بأنَّ الحياة شيءٌ جَميل وأنها جديرةٌ بأن تُعاش برغم كل الشقاء الذي تغوصُ بهِ" (68).

إن غوركي وحنا بإيمانهما بالعناصر الخيرة والمُضيئة في الإنسان لا يحمَّلان الفرد مسؤولية السمات السلبية التي يحملها مهما كانت سيئة، بل يوجهان إصبع الاتهام إلى المُجتمع بوصفه مسؤولاً عنها. ويمتلئ الكاتبات بالعطفِ على النساء الساقطات. فغوركي الذي قابلَ ناتاليا كوزلوفيسكيا، المرأة الشجاعة والفخورة سابقاً، في حيٍّ للبغاء مُصادفةً، لم يستطع أن يكبح عبرات الخجل والشفقة في عينيه عندما عرفَ أنها أصبحت بغياً ويتذكر خوفها عليه توسلها إليه أن يذهب من الحي وألا يعود إليه لأنها تعرف مرارةَ الانغماس في وحله: "قالت وهي تنظرُ إليَّ مُطلقةً زفرةً: أيها الأحمق الصغير. اذهب من هنا ! أنا أرجوك و أنصح لك ألا تعود إلى هنا مرة أخرى سوف تضيع" (69).

وهنا يعبر عن قناعاته بأن المرأة الساقطةَ ليست مذنبةً، المذنب هو المُجتمع الذي دفعها إلى هذا الطريق ويكتشفُ الكاتب الصفات الإنسانية والسامية فيها، وهكذا نجد زنوبة مناضلةً شُجاعةً تُثير انتفاضةَ الفلاحين ضد الإقطاعيين في زمن الجوع.

إنّ المرأة في الشرق كانت مُستعبدةً أكثر من المرأة في روسيا، ونحن نعرف عن هذا الفارق في الوضع الاجتماعي للمرأةِ من خلال المُقارنةِ بين مؤلفات الكاتبين، ومن هنا تكتسبُ دعوة المرأة العربية للمجتمع إلى الثورة أهمية أكبر.

ويشعر حنا بثراء وجما ل نفس زنوبة التي اهتمت به وبأخته بشكل مؤثر، عندما سافر أبوه وأمه إلى الأخت الكبرى: "مسحت على رأسينا، كفكفت دموعنا أشعرتنا بصلات الإنسان التي هي صلات رحم وأوفى" (70).

إن المبدأ الأساسي للإبداع الأدبي الذي يأخذ به الكاتبان الروسي والسوري، هو الحبُّ الكبير للإنسانيةِ والإنسان: "والموضوع الحقيقي للفن الواقعي هو الإنسان بكل عظم أعماله وآلامه، بحياته الروحية، ورغبته في الإبداع" (71).

ويمتازُ الأسلوب الواقعي عند غوكي وحنا في ثلاثيتهما بالعمقِ والصدق والبساطةِ في التعبيرِ عن الحياة، لصدور فنهما عنها وارتباطه الوثيق بها. وتمتزجُ الواقعيةُ فيه بالرومانسيةِ والرمزيةِ دون أن تفقدَ طابعها المميز. ويُساعد الرمز الديني،غالباً، في أدب غوركي على ايضاح عدم الرضى عن الواقع ، يقول العامل جيخاريف في رواية " بين الناس " : " نحن نعيش كالجراء الضريرة ، لا نعرف لأجل أي شيء نعيش ، لا الله يحتاجنا ولا الشيطان .أيسموننا عبيد الله ؟ لقد كان أيوب عبداً ، لكن الله نفسه كلمه . كذلك كلم موسى ومنحه اسماً (.....) أما نحن فلمن ننتسب ؟ (72) .

ويحمل العنصر الرومانسي في أدب غوركي شحنة المواجهة لمرارة الواقع ، والقدرة على تحديه ، وخلق الفرحة من قلب اليأس ، والأمل بواقع آخر أفضل ، يقول غوركي : "أردت أن أركل الأرض وأركل نفسي ركلة جيدة بحيث يدور كل شيء ، وأدور أنا أيضا في زوبعة سعيدة ، في الرقصة الاحتفالية التي يرقصها الناس الذين يحبون بعضهم بعضاً، ويحبون الحياة من أجل حياة أخرى جميلة ومرحة ونقية " (73) .

لننظر كيف يوضح حنا مينة بشاعة الواقع ومرارته بمساعدة الرموز الدينية(رموز الصلب) : "كان حذاؤها الموحل بيدها ، وكفها على موضع الضربة في بطنها ، وتحت أقدامها مسامير ، وعلى ظهرها خشبة ، ومن حولها كلاب تهر..... هي منبوذة من العالم ، تسير فيه كتلة من القهر والعجز معاً "(74) . وكيف يحمل العنصر الرومانسي، في أدب حنا، الأمل بعالم أحسن من الواقع المغمور بوحل المستنقع :"الجمال لايوجد إلا في البعيد ، ولماذا، يا إلهي ،كان بي ذلك التوق الجارف إلى بعيد؟ لم تكن تمضي ليال إلا وأحلم في إحداها بأنني أطير ،وأسبح في الفضاء نحو عالم بلون زهر اللوز أبيض مشرب بالحمرة ، مغمور بأشعة مغسولة بندى الصباح" (75).

وحنا يستخدم الرموز أكثر من غوركي ، ويرتبط هذا الأمر بخصوصية الأدب العربي الذي تغلب عليه المجازية، وتحمل هذه الرموز شحنة جمالية كبيرة ، وتغني النص بالأصداء الشاعرية ، وسعة الدلالة، وقوة التأثير الفني . والرموز عند غوركي وحنا لاتعقد النص لانها بسيطة ومفهومة من القارىء . كمايلعب المنظر الطبيعي دوراً أكبر عند حنا ، فالطبيعة تصبح جزءاً من العالم العاطفي للناس ، تشارك في افراحها وأ تراحها، وتتجاوب اللوحة الطبيعية مع الحالة النفسية للإنسان.

وبينما يغلب استخدام الجمل الطويلة على ثلاثية غوركي، نجد حنا يستخدم جملاً قصيرة يشتد قصرها وتأثيرها وعاطفيتها في اللحظات الدرامية من الرواية ، وتتوحد في مقاطع لها إيقاع داخلي، اضف إلى ذلك، أن هذا الإيقاع يتغير من مقطع إلى اخر ،وتفاوتاته بين ارتفاع وانخفاض تمنح للقص ديناميكية خاصة.

وتتسم لغة الحوار عند غوركي وحنا مينة بالبساطة والعفوية وتعبر عن مستوى الشخصيات وطبيعتها، وهما يوظفان اللهجة الشعبية العفوية بمهارة بسبب قربهما من شخوصهما وبيئاتهم.

من السمات المميزة لأسلوب الكاتبين في سيرتهما الذاتية : تداخل الأزمنة، حيث يتدخل المؤلف ،صاحب السيرة الأصلي، ليوضح شيئاً ما حدث في زمن التجربة المباشرة، بشيء حدث بعد ذلك بسنوات طويلة. على سبيل المثال ، يتحدث غوركي في روايته " جامعاتي " عن الرغبة الشديدة التي شعر بها في التحدث ، لأحد ما ، عن فضائل جدته الغالية بعد سماعه لنبأ وفاتها : " حملت هذه الرغبة الطاغية في نفسي طويلاً ، ولكنني لم أجد أحداً أ تحدث إليه . وهكذا احترقت هذه الرغبة في صدري دون أن أحققها . تذكرت هذه الأيام عندما قرأت ، بعد سنوات طويلة ، قصة أ .ب .تشيخوف الصادقة ، بصورة مدهشة ، عن الحوذي الذي حدث حصانه عن موت ابنه. فأسفت لأنه لم يكن حولي في أيام الحزن المريرة تلك حصاناً أو كلباً لأشكو إليه . وأسفت لأنه لم يخطر في بالي أن أتقاسم حزني مع الجرذان التي كانت كثيرة في المخبز ، وكانت تربطني بها علاقة صداقة طيبة "(76) .

ومثال تداخل الأزمنة عند حنا ، المقطع الذي استشهدنا به انفاعن وقوع كتاب مكسيم غوركي في يده بعد سنوات طويلة ، وإجابته على أسئلته المقلقة بشأن شك الناس في الساعين إلى خلاصهم .

ومن المميز لأسلوب الثلاثيتين استخدام غوركي وحنا للشعر الشعبي ، الأمر الذي يكسب أدبهما شفافية جاذبية تمسان شغاف القلب . ويمكن أنا نأخذ مثالاً على ذلك ، من ثلاثية مكسيم غوركي ، هذا المقطع من أغنية أنشدتها جدة غوركي له مؤكدة أن فتاةً هجرها حبيبها ، نظمتها :

آهِ يا صديقاتي العزيزات
عندما يبدأ الثلج الخفيف بالتساقط
انزعن قلبي من صدري الأبيض
وادفنه في الثلج (77).

وأم حنا التي تنتظر زوجها الغائب ، كانت تجلس في الأصائل على الحصير قبالة الباب وتغني :

" **أمسى المساء وعاد القلب يذكركم وغابت الشمس ومارجع حدا منكم**
أين الرسول المبشر لا سألوا عنكم وبلادنا بعيدة وما جاني خبر منكم " **(78).**

لعل أهم سمة في سيرتي الكاتبين هي التعرية . إن الكاتبين لا يتحرجان من الكشف عن كل شي ببساطة وجرأة ووضوح ، ومن الخوض في صميم التجربة الفكرية والحياتية ، ومن التغلغل في أعماق الواقع لنبشه ، وعرض ما فيه تحت ضوء الشمس .

خاتمة واستنتاجات :

بعد أن عرضنا أهم نقاط التشابه والاختلاف بين ثلاثيتي مكسيم غوركي وحنا مينة نصل إلى النتائج الآتية :

1- إن نشوء المذهب الواقعي في الأدب العربي بعامة ، والسوري بخاصة ،ارتبط بتطور الحياة ،والأدب العربي ذاته . فالتحولات الثورية والاجتماعية الكبيرة في الوطن العربي استوجبت استيعابها وإضاءتها مما أدى إلى نشوء المذهب الجديد.

2- وقد أثر مكسيم غوركي تأثيراً كبيراً في تطور المذهب الواقعي ، إذ انسجمت مؤلفاته مع العملية الثورية الجارية في البلدان العربية ، ومع الصراع مع التقاليد البالية قي الحياة والأدب واللغة العربية ، ومع التغيرات في وعي الناس .

3-وغوركي وحنا مينة اللذان وجدا نفسيهما مرغمين عل الدخول إلى مسرح الحياة ، لم يكونا راضيين عن تراجيدية الوجود البشري ، والمصير الإنساني في المجتمع الطبقي ، بل كانا مشبعين بالكراهية ضد الوجه البشع لهذا المجتمع، و بالرغبة في تدميره و بناء مجتمع جديد خال من عذابات البشر الناتجة عن الظلم الاجتماعي، و كان محتماً لهذا الموقف الواحد من الواقع أن ينعكس في أدبيهما .

4- والحياة نفسها ، أعدت غوركي وحنا لاعتناق الأفكار الاشتراكية ، بكل ما عاناه فيها الكاتبان ، وملايين الناس من حولهما ، من فقر وهوان ، وجوع وحرمان ، وكانت الاشتراكية بالنسبة إليهما تجسيداً لعالم مثالي عادل ، ومخرجاً من المأزق الحياتي ، وإنقاذاً للبؤساء والمحرومين.

5- وكانت حياة حنا نفسها مهيأة لتلقي مؤلفات مكسيم غوركي ، فقد وجد حنا في الكاتب الروسي شخصاً قريباً منه روحياً ، عانى آلاماً ومحناً شبيهة بآلامه ، ومر بنفس المرحلة من القنوط في حياته ، ولكنه رغم كل شي ، وجد في نفسه القدرة للتغلب على هذا اليأس ، والتصميم على النضال من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية .

6- إن شخصية غوركي الأسطورية التي امتزج فيها الإنسان الخلوق ، بالثائر العنيد ، بالفنان المبدع ، بالمفكر المنظر ، بالفيلسوف المتأمل ، بالمعلم الموقظ ، هزت حنا مينة فافتتن بها وتعلم منها . وقد أدى التقارب في

المفهوم المحدد عن العالم بين الكاتبين الذي اكتمل واغتنى بالتأثير القوي لرحلة حياة مكسيم غوركي ، وشخصيته ومؤلفاته ، في حنا إلى تشابه المبادئ الفكرية والجمالية عندهما .

7- يتضمن تأثير غوركي في حنا مينة النموذج الصارم لواقعيته ، كما يتضمن تأثير الجوانب الفكرية والفنية لمؤلفاته .

8- يتضح ، مما تقدم أن التأثير الشخصي والفكري لغوركي في حنا كان عميقاً وشاملاً ، قواه مذهبما الواقعي في الأدب ، وتشابه طباع الكاتبين ومصيريهما ، ووحدة مواقعهما العقائدية ، ومواجهة كل منهما لمهمة واحدة هي تصوير التناقضات الاجتماعية المعقدة في مرحلة من مراحل التغيير الاجتماعي الكبير .

الهوامش:

1- فان تيغم (بول)، الأدب المقارن،المكتبة العصرية بمصر، صيدا-بيروت دون تاريخ، ص 19.

2- ويليك (رينيه) وارين (اوستن)، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة الدكتور حسام الخطيب، لم تذكر دار النشروتاريخه، ص60.

3- المرجع السابق ،ص 61.

4- أفانسييف (ف.ج)، أسس المعارف الفلسفية، دار التقدم، موسكو 1985، ص 378.

5- جيرمونسكي (ف.م)، علم الأدب المقارن و قضايا التأثيرات الأدبية، دورية أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، فرع العلوم الاجتماعية ، موسكو 1936،ع3، باللغة الروسية، ص 384.

6- يشير اس.اس. براور إلى أهمية المقارنات التي عقدها جيرمونسكي على هذا الأساس و استقصى فيها التشابهات بين ظواهر أدبية لم تقم بينها صلات مباشرة، كالتشابه بين مفهوم البطل في قصائد المآثر الفرنسية، مثلاً ، و بين البطل في الأغاني الشعبية الروسية من أجل التوسع انظر:

براور (اس. اس)، الدراسات الأدبية المقارنة، مدخل ترجمة عارف حديفة، وزارة الثقافة، ط1، دمشق1986، ص78.

7- من أجل التوسع انظر:

د. المرعي (فؤاد) في تاريخ الأدب الحديث، الرواية–المسرحية– القصة، جامعة حلب، حلب 1981، ص27–28.

8- دالينينا (أ.أ)، مقالة "المجموعة الأولى من مؤلفات غوركي باللغة العربية" كتاب " م.غوركي و آداب الشرق الأجنبي"، دار العلوم، موسكو 1968، باللغة الروسية ، ص 233.

9- مينة (حنا) ، كيف حملت القلم، دار الآداب، ط1 ، ببيروت 1986، ص 165.

10- المرجع السابق ، ص 148.

11- د. الخطيب (حسام)، سبل المؤثرات الأجنبية و أشكالها في القصة السورية، دراسة تطبيقية في الأدب المقارن،ط3،دمشق 1981 ،ص 60.

12- المرجع السابق ، ص 55.

13- د.ظاظا (محمود رضوان)، المؤثرات الأجنبية في القصة و الرواية السورية منذ عام 1950 إلى يومنا هذا، أطروحة دكتوراه دولة في الآداب (أدب مقارن)، جامعة السوربون (باريس الرابعة) 1985، باللغة الفرنسية ص 17–18.

14- مينة (حنا) كيف حملت القلم، ص 191.

15- مينة (حنا) هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، ط1، بيروت،.1982، ص 55.

16- مينة (حنا) كيف حملت القلم، ص97.

17- الشريف (جلال فاروق)، إن الأدب كان مسؤولاً ، اتحاد الكتاب العرب، لينينغراد 1979، باللغة الروسية، ص20.

18- جيرمونسكي (ف.م)، علم الأدب المقارن، الشرق و الغرب، دار العلوم ، لينينغراد،1979، باللغة الروسية، ص 20.

19- مينة (حنا) كيف حملت القلم، ص 98.

20- غروزدييف (ي. أ) ، غوركي و زمنه 1868–1896، موسكو 1962، باللغة الروسية، ص 120.

21- مينة (حنا) كيف حملت القلم، ص 180.

22- مينة (حنا)هواجس في التجربة الروائية، ص 8.

23- مينة (حنا) كيف حملت القلم، ص 196.

24- د. المرعي (فؤاد)، المدخل إلى الآداب الأوروبية، جامعة حلب،حلب1980،ط2،ص222.

25- لوكاتش (جورج) ،دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير اسكندر، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972،ص231.

26- الخطيب (محمد كامل) عيد (عبد الرزاق)، عالم حنا مينة الروائي، دار الآداب، بيروت1979،ص 117. و قد وضح الكاتبان المقالات التي كتبها كل منهما.

27- الاسم الحقيقي لمكسيم غوركي ألكسي بيشكوف، و أليوشا تدليل لاسم ألكسي.

28- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي دار الأدب الفني، موسكو1985، باللغة الروسية، ص11.

29- المرجع السابق، ص 18.

30- المرجع السابق، ص 19.
31- مينة (حنا)، بقايا صور، دار الآداب، بيروت1984، ص241.
32- المرجع السابق، ص 234.
33- مينة (حنا) المستنقع، دار الآداب، ط3، بيروت 1983، ص43.
34- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس – جامعاتي، ص 132.
35- المرجع السابق، ص 167.
36- مينة (حنا) بقايا صور، 235
37- مينة (حنا) ،المستنقع، ص 352.
38- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس – جامعاتي، ص 107.
39- المرجع السابق، ص 329.
40- المرجع السابق، ص 362.
41- مينة (حنا)، بقايا صور، ص 291.
42- المرجع السابق، ص .269.
43- المرجع السابق، ص 263.
44- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس – جامعاتي، ص 173.
45- مينة (حنا)، المستنقع، ص361.
46- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 436.
47- المرجع السابق، ص 229.
48- مينة (حنا)، القطاف، دار الآداب، ط1، بيروت1986، ص 28.
49- المرجع السابق، ص 169.
50- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس –جامعاتي، ص 268.
51- المرجع السابق، ص34–35.
52- مينة (حنا) ،المستنقع، ص 101.
53- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس –جامعاتي، ص 62.
54- مينة (حنا)، بقايا صور، ص 145–146.
55- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس –جامعاتي، ص 182.
56- مينة (حنا)، المستنقع، ص143–144.
57- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس – جامعاتي، ص 406.
58- بيليك (ب.أ)،مصير مكسيم غوركي، دار الأدب الفني، ط3، موسكو1986،باللغة الروسية، ص 20.
59- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 466.
60- مينة (حنا) ،المستنقع، ص 266.
61- مينة (حنا)، القطاف، ص 106.
62- المرجع السابق، ص 203.

63- المرجع السابق، ص 270.
64- المرجع السابق، ص 337.
65- إسماعيل فايز البدايات في ذاكرة فايز إسماعيل، مكتب الدعاية و النشر و الإعلام في القيادة القومية، دمشق 1980، ص15.
66- المرجع السابق، ص 16.
67- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 137.
68- مينة (حنا) ،المستنقع، ص 408–409.
69- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 362.
70- مينة (حنا)، بقايا صور، ص 293.
71- سوتشكوف (بوريس)، المصادر التاريخية للواقعية، ترجمة محمد عيتاني و أكرم الرافعي، ط1، دار الحقيقة، بيروت 1974، ص323.
72- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 314.
73- المرجع السابق، ص 383–384.
74- مينة (حنا)، بقايا صور، ص 102.
75- مينة (حنا)، المستنقع، ص 78.
76- غوركي (مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي، ص 420.
77- المرجع السابق، ص 227.
78- مينة (حنا)، بقايا صور، ص 119.

المراجع:

.....

1) أفانسييف (ف.ج) أسس المعارف الفلسفية،دار التقدم،موسكو1985.
2) إسماعيل (فايز) البدايات في ذاكرة فايز إسماعيل، مكتب الدعاية و النشر و الإعلام في القيادة القومية، دمشق 1980.
3) براور (اس. اس)، الدراسات الأدبية المقارنة، مدخل ترجمة عارف حديفة، وزارة الثقافة، ط1، دمشق1986.
4) بيليك(ب.أ)،مصير مكسيم غوركي، دار الأدب الفني، ط3، موسكو1986،باللغة الروسية.
5) جيرمونسكي (ف.م)، علم الأدب المقارن و قضايا التأثيرات الأدبية، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، فرع العلوم الاجتماعية،ع3، موسكو 1936، باللغة الروسية.
، علم الأدب المقارن. الشرق و الغرب، دار العلوم،لينينغراد1979، باللغة الروسية.

6) د. الخطيب (حسام)، سبل المؤثرات الأجنبية و أشكالها في القصة السورية، دراسة تطبيقية في الأدب المقارن، ط3، دمشق 1981.
7) الخطيب (محمد كامل) عيد (عبد الرزاق)، عالم حنا مينة الروائي، دار الآداب، بيروت1979.
8) دالينينا (أ.أ)، مقالة "المجموعة الأولى من مؤلفات غوركي باللغة العربية" كتاب " م.غوركي و آداب الشرق الأجنبي"، دار العلوم، موسكو 1968، باللغة الروسية.
9) سوتشكوف (بوريس)، المصائر التاريخية للواقعية ، ترجمة محمد عيتاني و أكرم الرافعي، ، دار الحقيقة، ط1، بيروت 1974.
10) الشريف (جلال فاروق)، إن الأدب كان مسؤولاً ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق1978
11) د.ظاظا(محمود رضوان)، المؤثرات الأجنبية في القصة و الرواية السورية منذ عام 1950 إلى يومنا هذا، أطروحة دكتوراه دولة في الآداب (أدب مقارن)، جامعة السوربون (باريس الرابعة) 1985، باللغة الفرنسية .
12) غروزدييف (ي. أ) ، غوركي و زمنه 1868–1896، موسكو 1962، باللغة الروسية.
13) غوركي(مكسيم)، طفولتي –بين الناس–جامعاتي دار الأدب الفني، موسكو1985، باللغة الروسية.
14) فان تيغم (بول)، الأدب المقارن،المكتبة العصرية بمصر، صيدا–بيروت – دون تاريخ.
15) لوكاتش (جورج) ،دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير اسكندر، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب1972.
16) د. المرعي (فؤاد)، في تاريخ الأدب الحديث، الرواية–المسرحية– القصة، جامعة حلب، حلب 1981.
،المدخل إلى الآداب الأوروبية.جامعة حلب، ط2، حلب 1980.
17) مينة (حنا)، بقايا صور ، دار الآداب،ط4، بيروت1984.
،القطاف،دار الآداب،ط1،بيروت1986.
، كيف حملت القلم، دار الآداب، ط1 ، بيروت 1986.
، المستنقع، دار الآداب، ط3، بيروت 1983.
، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، ط1، بيروت،.1982.
18) ويليك (رينيه) وارين (أوستن)، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة الدكتور حسام الخطيب، لم تُذكر دار النشر و تاريخه.